الأهرام

المصدر: الـــــرياض
التاريخ: ١٤ ربيـــــع ثاني ١٤٠٠هـ

OBSERVER

اوبزيرفر

عام ٢٠٠٠ مائة مليون مسلم في الاتحاد السوفيتي !

لم يكن الغـــزو السوفيتي لافغانستان لينجح دون انتهـــاج نفس الاسلوب الاستعماري الذى سلكته الدول الاوربية الاستعمارية في القرن التاسع عشر .. او بمعني اصح اتباع نفس اسلوب القياصرة الروس عندما اقدموا على استعمار بلدان اسيا الوسطي في النصف الثاني مـــن القرن الماضي .

ومـن الجدير بالذكـر أن الامبراطورية الاسيوية التي اقامها قياصرة روسيا فـي النصف الثاني من القرن التاسع عشر هي الامبراطورية الاوربية الوحيدة التي بقيت حتي الان دون انهيار .

ظل الروس لفترة بعد الثورة البلشفية عـــام ١٩١٧ يشعرون بتأنيب الضمـير للفتوحات الشاسعة التي قام بها اجدادهم في اسيا الوسطي لكن سرعان ما تلاشي هذا الشعور . ولم يعد المؤرخون السوفييت يتحدثون عـن فتح القياصرة لجمهوريات اسيا الوسطي واصبح القول السائد الان ـ وهو قول مغلوط ـ ان شعوب اوزبكستان كازاخستان ، كيرغيزيا ـ وهي شعـــوب

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

أم افغانيه الى جوار طفلها الجريح الذى اصابته القوات الروسية الغازية الافغانية •

مجموعة من رجال القبائل الافغانية وقـــد عقدت العزم على الاطاحة بحكومة كابول التي تحميها القوات السوفيتية • وتشاهد هنـــاوهي مسلحه باسلحة متدا

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

مسلمة ـ هي التي قررت طواعية وباختيارها الحر ان تنضم للامبراطورية الروسية العتيقة ، ومن ثم يجد المرء في مدن جمهوريات اسيا الوسطي السوفيتية الان الكثير من النصب التذكارية التي اقيمت خصيصا لترسيخ هذه الفكرة وتذكير هذه الشعوب بها والهدف من ذلك اقناع تلك الشعوب بان بلادهم ليست محتلة وان الروس ليسوا بمستعمرين ٠

لقد كانت روسيا الدولة الاستعمارية الاوربية الوحيدة التي استطاعت ان تبني امبراطوريتها بمجرد التحرك نحو الشرق وهو الامر الذى جعل التوسع السوفيتي يبدو امرا لا مفر منه ٠٠ وفي ذلك المعني قال اللورد كيرزون :ـ « ان روسيا مضطرة للتوسع والمضي قدما تماما مثلما يتعين على الكرة الارضية أن تمضي قدما في دورانها حول الشمس » ٠

ان قيام الروس باخضاع قبائل البدو الاسلامية في سهول الاستبس الشاسعة في كازاخستان ، وخيفا وكوكاند وبخاري كان امرا لا مفر منه مثله في ذلك مثل الانتصار الحتمي الذى حققه الامريكيون على الهنود الحمر ٠

وعندما كانت تثور مقاومة كان الروس يتصدون لها بسرعة ووحشية ٠٠ وفي ذلك قال احد جنرالات القياصرة الروس ذات مرة : « من المبادىء التي اصبحت اؤمن بصحتها ان مدة السلام في اسيا تتحدد من حيث الطول او القصر حسب جسامة المذابح التي تستطيع ان تلحقها بالعدو ٠٠ فكلما اشتدت ضراوة وشراسة الضربات التي توجهها للعدو طالت اكثر المدة التي سيعيش فيها هذا العدو في سلام وهدوء بعد ذلك »

لقد انتقلت اثار الثورة البلشفية الي اسيا الوسطي بواسطة المهاجرين الروس والاوكرانيين فضلا عن الجيش الاحمر ٠٠ فهؤلاء الروس والاوكرانيون والجيش الاحمر والاحزاب الشيوعية الاقليمية المنبثقة عن الحزب الشيوعي السوفيتي يرجع اليها جميعا الفضل في صبغ تلك الجمهوريات الاسلامية بالصبغة الشيوعية السوفيتية ٠

ان المدن الكبرى بجمهوريات اسيا الوسطي السوفيتية يخيل لمن يراها انها مدن روسية اوربية وليست مدنا اسيوية ٠ وفي جمهورية كازاخستان لا يشكل الكازاخستانيون الا ثلث السكان فقط بينما يشكل الروس ٤٠٪ وسبب ذلك ان طبيعة المناخ في اسيا الوسطى ووفرة المواد الغذائية الممتازة تجذب اعدادا كبيرة من

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

سكان روسيا واوكرانيا وروسيا البيضاء لاستيطان كزاخستان ٠

لكن الي متي ؟!

هذه النسبة الكبيرة من السكان الاوربيين في جمهوريات اسيا الوسطي تساعد موسكو في احكام قبضتها وهيمنتها على تلك الجمهوريات ٠٠ كما يستخدم الروس كذلك اجهزة الحزب الشيوعي واجهزة المخابرات ٠ اما الجيش السوفيتي فهو موجود ايضا دائما باعتباره الملاذ الاخير الذى يمكن اللجوء اليه عند الحاجة لكل ذلك لم يكن من الغريب الا يحس مسلمو جمهوريات اسيا الوسطي السوفيتية بالانتفاضات والصحوات الاسلامية التي هزت مختلف انحاء العالم الاسلامي ٠ ولكن ـ السؤال هنا يطرح نفسه ـ هل يمكن ان يدوم هذا الحال الي الابد ؟

لقد قاوم سكان جمهوريات اسيا الوسطي الاسلامية الثورة السوفيتية البلشفية ولكن تلك المقاومة خبت لان القائمين بها كانوا متعددو الزعامات ويفتقرون الي التنظيم والتسليح الفعالين هذه المقاومة الاسلامية كسبت عطف وتأييد بقية دول العالم الاسلامي لدرجة ان وزيرا باحدى الدول الاسلامية ـ وهو انور باشا وزير الدفاع التركي ـ انضم اليها وشارك فيها بنفسه ولكنها لسوء الحظ انتهت في اوائل العشرينات ٠٠

ولعل موضوع سلطان جالييف يمثل خطرا كبيرا وينبيء عن دلالات خطيرة يمكن ان تقع في المستقبل ٠٠ سلطان جالييف هذا تتارى من إقليم كازان وليس من اهالي اسيا الوسطي غير انه كان يجمع بين صفتين : فلقد كان مسلما وشيوعيا ٠ كان اليد اليمني لستالين في كوميسارية القوميات (الكوميسارية كلمة روسية تعني دائرة حكومية في الاتحاد السوفيتي) وكان نظام الكوميساريات قائما حتى عام ١٩٤٦ وقد ادرك سلطان جالييف بفطنته المعهوده ان التفسيرات الاوربية للنظرية الماركسية لا تلائم المسلمين ٠٠ ومن ثم طرح فكرة خلق دولة اسلامية واحدة تقوم اساسا على مسلمي اقليم كازان وتضم ايضا مسلمي اسيا الوسطي والمسلمين السوفييت الاخرين وترويجا لهذه الفكرة قال ان هذه الدولة سوف تساعد على نشر السلام في بقية ارجاء القارة الاسيوية ٠

لم يتحمل البلاشفة بالطبع سماع هذا الكلام وطردوا سلطان جالييف من عضوية الحزب الشيوعي عام ١٩٢٣ والقوا القبض عليه ويعتقد انه اغتيل داخل السجن عام ١٩٢٠ ٠٠ ولا يستطيع انسان ان يستبعد امكانية ظهور فكرة جالييف من جديد في اسيا الوسطي والتي مؤداها ان الشيوعية التي تطبق في المناطق الاسلامية لابد ان تختلف عن الشيوعية الروسية او الاوربية ان معظم الخبراء الغربيين في شئون اسيا الوسطي السوفيتية ذهلوا بكل تاكيد عندما تبين لهم ان مسلمي اسيا الوسطي السوفيتية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

يتمسكون تمسكا بالغ الشـــدة باسلوب الحياة الاسلامية الذى درجوا عليه ولا يفرطون في ذلك ابدا رغم ان بعضهم لا يمارس بعض الشعائر الاسلامية ٠٠ وفي بعض المناطق الاسلامية السوفيتية توجـد بعض منظمات الاخوان المسلمين ـ وهـى منظمات غير قانونية في نظر الحـــكام السوفييت الشيوعيين ـ وتسـمى هناك «الطريقة» ٠

وفي الاتحاد السوفيتي في الوقـت الحاضر نحو ٥٠ مليون مسلم يعيش ثلاثة ارباعهم في خمس جمهوريات من جمهوريات اسيا الوسطى السوفيتية وهي : كازاخستان كيرغيزيـــا ، طاجيسكتان ، تركمينيا اوزبكستان (التي بها مدينة سمرقند التي يرجع تاريخها الي اربعة الاف سنة قبل الميلاد) ٠

ومن الجدير بالذكر ان معدل المواليد المسلمين في الاتحاد السوفيتي يفوق بكثير معدل المواليد الروس الاوربيين لدرجـــة ان علماء السكان يقولون ان عدد المسلمين في الاتحاد السوفيتي سيصل عام ٢٠٠٠ الي مائة مليون نسمة من بين ٣٢٠ مليون هم كل سكان الاتحاد السوفيتي عام ٢٠٠٠

والذى يهم هنا بالدرجـــة الاولي ان السياسة الخارجية السوفيتية في سعيها للتقرب والتحبب الي دول العالم النامي سعت الي تحويل المسلمين السوفييت الـى سلاح هام في يد الدولة السوفيتية ٠

وكان خروشوف ـ الزعيـم السـوفيتي الراحل ـ قد بدأ بالفعل استخدام السوفييت المسلمين على هذا النحو ويعتقد الخبراء الغربيون ان ذلك قد اسهم في زيادة وعي المسلمين السوفييت وتعاظم ثقتهم بانفسهم

ومن العسير على المرء الان ان يعرف الي اىمدى ستؤثر الصحوات والانتفاضات الاسلامية التي تعم ارجاء العالم الاسلامي على اخوانهم المسلمين في الاتحاد السوفيتي وان كان معظم الخبراء الغربيين يشئون تلك المناطق السوفيتية يرون ان حـــكام الكرملين يحسون بخـــوف بالغ من تلك الانتفاضات وان هذا الخوف دفعهم الـى ارتكاب ما ارتكبوه في افغانستان

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية